تقرير

شوقي عشقوتي

إيران ليست فنزويلا... ولا العراق "فجوة" بين حسابات ترامب وطموحات نتنياهو

بعد شهر على الحرب لم يعد السؤال الاهم عن حجم ما خسرته وتكبدته ايران، وانما عن مدى قدرة واشنطن على تحويل الانجاز والتفوق العسكري الى انهيار سياسي في ايران، والى سقوط النظام او تغييره من الداخل. هذه هي المفارقة الراهنة في المشهد الايراني.

ضرب النظام كقوة عسكرية واقليمية، لكنه لا يتصرف كقوة مهزومة مستعدة لرفع الراية البيضاء، وانما يراهن على الصمود واطالة امد الحرب وتوسيع دائرة الفوضى والاستنزاف في المنطقة.

بعد اغتيال المرشد الاعلى للجمهورية الاسلامية في ايران علي خامنئي، دخل النظام الايراني في مرحلة انتقالية وظهر محوران ومركزان للقرار: الاول تمثل في الهيئة الثلاثية المنوط بها قيادة هذه المرحلة الانتقالية برئاسة الرئيس مسعود بزشكيان ومعه عضوان من السلطتين الدينية والقضائية، والثاني تمثل في الحرس الثوري وواجهته القيادية الثلاثية المؤلفة من علي لاريجاني (اغتالته اسرائيل في 16 آذار) ومحمد باقر قاليباف واحمد وحيدي القائد الجديد للحرس الثوري الذي يمسك بمقاليد الحكم والسلطة، وبقرار الحرب، ويرفض اي مسارات تفاوضية مرنة. وهذه السيطرة المطلقة تأكدت بعد واقعة اعتذار بزشكيان من دول الخليج على القصف الذي تتعرض له من ايران بسبب القواعد الاميركية العسكرية، وهذا الاعتذار جاء مرفقا بتعهد ضمني بوقف هذه الضربات، ولكن ما حصل كان العكس، استمرت الضربات الصواريخ والمسيرات وبشكل اكثر كثافة وايلاما مع استهداف منشات ومرافق حيوية.

دفع الحرس الثوري في اتجاه انتخاب مجتبى خامنئي مرشدا وقائدا جديدا لايران، وحصلت طريقة الانتخاب بصورة استثنائية من دون اجتماع مجلس الخبراء، اي من دون انعقاد "المجمع الانتخابي"، ومن دون الاخذ بمبدأ عدم التوريث في المؤسسة الدينية الحاكمة وفي راس هذه المؤسسة ومنصب المرشد الاعلى تحديدا. فقد اراد الحرس الثوري من انتخاب مجتبى خامنئي لموقع القيادة توجيه رسالتين: الاولى ان النظام لا يزال متماسكا، والثانية ان خيار القيادة الايرانية هو التشدد والتمسك باستراتيجية خامنئي الاب.

انتخاب مجتبى خامنئي مرشدا وقائدا جديدا يعني امرين مباشرين:

- اولا: ان ترامب خسر معركة "البديل" ولم تصح توقعاته ولم يتحقق ما يريده. كان ترامب قد اعلن انه يريد المشاركة في عملية اختيار الشخص الذي سيقود ايران نحو المستقبل، وانه يريد شخصا يكون جيدا للشعب والبلاد، وان ابن خامنئي خيار مستبعد. لكن ما حصل ان السيناريو الاسوأ الذي استبعده ترامب، وكان يخشاه، هو الذي حصل وجرى ملء الفراغ وانتخاب مرشد جديد رغم التعقيدات العملية والامنية التي احاطت بعملية الانتخاب والمحاولات الاميركية والاسرائيلية لمنع حصول ذلك.

> **انتخاب مجتبى خامنئي صدم ترامب وشكل تحديا واستفزازا**

- ثانيا: ان سقوط راس النظام (ومعه سقوط القدرة العسكرية) لم يسقط ايران كدولة وكنظام. والنتيجة ان ايران ليست فنزويلا. فلا خليفة واضحا يمكن الرهان عليه سريعا، ولا توجد بنية سلطة رئاسية مبسطة يمكن اعادة تدويرها بعد ازاحة رأسها. وعملية اسقاط النظام وفرض الاستسلام ستكون صعبة وطويلة ومكلفة مع نظام ديني عقائدي متراص وقادر على اعادة انتاج نفسه، ومصمم على تحمل الصدمات عبر طبقات متداخلة من المؤسسات الامنية والعسكرية والشرعية الدينية...

بات واضحا ان هدف الحرب عند الرئيس ترامب لم يعد اسقاط النظام الايراني، وان ما صح في فنزويلا لا يصح في ايران، فالبلاد الشاسعة جغرافيا وديموغرافيا واقتصاديا مع نظام ديني عقائدي متراص متماسك اعد البدائل القيادية لملء الفراغات واحتاط لاغتيالات الصف الاول والثاني. ومثل هذا النظام لا يمكن ان يسقط بضربات من الجو، حتى لو حققت ومن اليوم الاول انجازات ضخمة. الامر يستلزم قوة على الارض، واما

ان تكون هذه القوة اميركية كما حصل في العراق وافغانستان، وهذا ليس واردا في حسابات ترامب. واما ان تكون هذه القوة من الداخل، من داخل النظام قوة عسكرية ما او من داخل ايران قوة شعبية ما، في وقت لا مؤشرات الى وجود حركة تمرد داخل النظام او الى احتمال تجدد الانتفاضة الشعبية وتحولها الى مواجهة عنيفة مع النظام. وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة والكلفة الباهظة التي تعرضت لها ايران، فان هذه الخسائر لم تترجم مكاسب سياسية لواشنطن وانهيارا سياسيا للنظام الايراني، وحتى انها لم تكن كافية لدفع ايران الى تراجع استراتيجي او استعداد للقبول بالاستسلام.

وبازاء هذا الوضع، اصبح ترامب امام خيارين، واصبحت الحرب امام احتمالين:

* اما ان يرد على التصعيد والتحدي الايراني بتصعيد وتحد اكبر، فيرفع من كثافة ووتيرة الضربات والعمليات العسكرية لرد الاعتبار واسترداد زمام المبادرة. وهنا تبرز اهمية واحتمال الضربة الموجعة للنظام اذا تم استهداف المرشد الجديد مجتبى خامنئي ولحق بمصير والده، اذ سيكون من الصعب انتخاب مرشد جديد، وسيكون من المتوقع نشوب صراع داخل النظام، صراع محاور ومراكز قوى. ان يمضي ترامب في حرب مفتوحة مع ايران من دون تحديد سقف زمني، وحتى القضاء على النظام او اخضاعه، احتمال موجود حتى في ظل وجود ضغوط وانقسامات داخل الولايات المتحدة واضطرابات في اسواق الطاقة والمال والاقتصاد العالمي نظرا الى وجود ضغوط مضادة آتية من اسرائيل ومن دول الخليج. اسرائيل التي تعتبر ان الحرب اذا توقفت عند هذا الحد لا تكون قد حققت هدفها الاساسي وهو اسقاط او تغيير النظام. ودول الخليج التي تعتبر ان بقاء هذا النظام حتى في ظل ايران مدمرة وضعيفة، يبقي هاجس ايران كمصدر خطر دائم ومستقبلي. فهذه الحرب ضربت العلاقات الخليجية ـ الايرانية في العمق وقضت على عامل الثقة وعلى جهود السنوات الماضية في الانفتاح والمسايرة. والاهم من ذلك انها ضربت المزايا التفاضلية التي تتمتع بها دول الخليج لجذب الرساميل والاستثمارات الكبرى، وهي الامن والامان والاستقرار والازدهار، وفرضت عليها التفكير من الان فصاعدا "امنيا وعسكريا"، والاستثمار في مشاريع التسلح والانظمة الدفاعية.

* اما ان يقدم ترامب على ايقاف الحرب من طرف واحد تفاديا لتورط اكبر في حرب لم يتم تحديد اهدافها النهائية بوضوح، وقبل الانزلاق الى حرب اكبر واوسع هو من بداها والكل يعرف كيف بدأت، ولكن ليس هو وحده من ينهيها ولا احد يعرف كيف ستنتهي.

هذا احتمال وارد وبقوة لدى ترامب بعدما اطلق اشارات متكررة الى ان الحرب تقترب من نهايتها. فقد دفع ارتفاع اسعار الوقود والضغط الداخلي في الولايات المتحدة وتكاليف الحرب على دافعي الضرائب الاميركيين، وفوق ذلك كله الخوف الاميركي من الغرق في المستنقع الايراني، كل ذلك دفع ترامب الى رسم الاتجاه والبحث عن "استراتيجية" خروج من الحرب. ولكن، هل يكفي "النجاح العسكري" وحده لانهاء الحرب او لاحداث واقع جديد في ايران، خصوصا وان ايران لا تتجه بعد هذه الضربات الموجعة الى انفتاح او تسوية، وانما الى مزيد من التشدد وسيطرة الحرس الثوري على القرار والحكم، وتحولها الى لعب ورقة النفط ومضيق هرمز الذي يظل سلاحها

الاقوى. فاذا كانت ايران لا تستطيع مجاراة التفوق الجوي والتكنولوجي عند اميركا واسرائيل والفجوة الهائلة في هذا المجال، فانها تستطيع رفع الكلفة الاقتصادية والسياسية عليهما وعلى العالم. واذا كانت ايران خسرت ميدانيا وخسرت قوتها العسكرية التقليدية، فانها ربحت في مجال اخر ونجحت في تحويل الطاقة الى اداة ابتزاز استراتيجي، وفي تحويل حربها الى "حرب اقليمية" عسكريا، وما يشبه "حربا عالمية" اقتصاديا.

اسرائيل قلقة وتتحسب لهذا الاحتمال، احتمال ان يوقف ترامب الحرب قبل سقوط النظام الايراني. يعتبر الاسرائيليون انه اذا انتهت الحرب مع ايران من دون سقوط النظام او الجيش او الحرس الثوري، وتسليم 430 كيلوغراما من اليورانيوم المخصب الى الولايات المتحدة او الى دولة غربية، وتفكيك مشروع الصواريخ الباليستية بالكامل - ليس فقط منصات الاطلاق، بل ايضا المخزونات تحت الارض وقدرات الانتاج - فيمكن القول منذ الان ان الفائزين الكبار هما ايران وحزب الله، ومعهما ما يسمى بـ"محور الشر". واذا ورث مجتبى خامنئي السلطة بعد والده علي خامنئي، فان اسرائيل والمنطقة قد تواجهان نظاما ايرانيا اكثر تطرفا بكثير. لذلك، يدرك الاسرائيليون ان ◄

التحرك يجب ان يكون سريعا وقويا لدفع ايران الى الانهيار من الداخل.

اذا كان ترامب يكتفي كهدف للحرب بإخضاع النظام الايراني وفرض شروط التسوية والاستسلام عليه، فان هذه الحرب عند اسرائيل تذهب الى ابعد من الاستسلام المطلوب من الايرانيين. الهدف الواضح والنهائي الذي لا تنازل عنه او قيود او تعديل عليه عند النخبة الحاكمة في اسرائيل، هو زوال نظام الملالي وسقوط نظام الولي الفقيه بقياداته المدنية والسياسية والامنية ومؤسساته ومنظماته وشركائه في المنطقة والعالم. العدو الرئيسي بالنسبة لاسرائيل ليس حماس ولا حزب الله ولا الحوثي ولا الحشد الشعبي، لكنه بالتأكيد نظام الولي الفقيه في ايران. الهدف النهائي الصريح والواضح عند نتنياهو، وعند الحكومة والمعارضة، هو اسقاط النظام الايراني الحالي.

في اختصار يريد ترامب اضعاف النظام الايراني حتى يخضع تماما لشروطه التفاوضية. ويريد نتنياهو الاسقاط الكامل النهائي للنظام الايراني في كل شروحاته النووية والباليستية القائمة على انهاء محاور معادية لاسرائيل في المنطقة. اسرائيل تريد قطع رأس الافعى في طهران حتى تموت اطرافها في كل المنطقة.

تنظر القيادة الاسرائيلية الى الحرب الحالية على ايران باعتبارها فرصة تاريخية بكل ما

ايران تلعب اوراق القوة لديها: امن الخليج، مضيق هرمز، والوكلاء

قرار الحرب كان في يد ترامب... وقرار انهائها في يد خامنئي الابن

تحمله الكلمة من معنى، فهذه اول مرة في تاريخ اسرائيل تخوض فيها حربا بشراكة تامة مع جيش الولايات المتحدة العملاق، لتحقيق اهداف رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو الشخصية والحزبية والمحلية والاقليمية. ومن المتوقع انه مهما تكن نتيجتها، فانها ستلبي معظم احتياجاتها الانية. لقد بذل نتنياهو جهودا كبيرة في الاشهر الاخيرة، حتى يصل الى هذا الوضع. والحرب التي شنها في حزيران، كانت عمادا اساسيا في اقناع الرئيس الاميركي، وجيشه بضرورة ضرب ايران. بعد الحرب الاولى التي كشفت ضعف ايران عسكريا، وبعد ازمة داخلية اقتصادية وانتفاضة شعبية، اقتنع ترامب بأن ايران في اسوأ اوضاعها، وبأن حربا اخرى على ايران ستكون اسهل من سابقتها، ومن شأنها ان تقوض النظام وتجدع اذرعه في المنطقة، ولا تعزز مكانة اسرائيل في الشرق الاوسط فحسب، بل تعيد لأميركا عظمتها في العالم، وهو شعار مناصري ترامب في حركة "ماغو".

ترى اسرائيل ان ايران وقعت في الفخ الذي نصبته لها للوصول الى الهدف الاسمى، وهو: توجيه ضربة ماحقة للنظام الايراني واسقاطه، وتعزيز مكانة اسرائيل في الشرق الاوسط كدولة اقوى. والان، يحاول نتنياهو اقناع ترامب بان تتحول الحرب الى هدف محدد هو اسقاط النظام الايراني كونه العقبة الاستراتيجية التي يعيق تقدم المشروع الاميركي في الشرق الاوسط ويهدد مصالح الولايات المتحدة وامن واستقرار المنطقة. في نهاية المطاف، يعتبر ترامب الرئيس الاميركي الوحيد الذي تجرأ على ايران، ان بتمزيقه الاتفاق النووي في العام 2018 او باغتياله قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" مطلع 2020. مع عودته الى البيت الابيض مطلع 2025، شاركت ادارته في حرب حزيران من تلك السنة. القت القاذفات الاميركية 14 قنبلة من النوع المتطور على المواقع النووية الايرانية الاساسية.

نشهد حاليا، من خلال هذه الحرب بداية زلزال جديد لا يقل اهمية عن الزلزال العراقي ولكن مع صعوبة التكهن بالنتائج التي ستترتب على الحدث في المنطقة كلها. سيكون مطروحا مصير دول معينة، بما في ذلك ايران نفسها حيث النظام يترنح. لم تعد المسألة مسألة ابتزاز العالم بالملف النووي، بل تتعدى ذلك بكثير وتشمل الصواريخ الباليستية ومنصاتها واذرع "الحرس الثوري" في المنطقة. واخيرا السلوك الداخلي للنظام، اي طريقة تعاطيه مع "الشعوب" الايرانية المتطلعة الى حد ادنى من الحرية والكرامة والازدهار والرفاهية.

استسلم النظام الايراني ام قرر المقاومة، لن يكون المطروح في ضوء الزلزال الاتي مصير ايران فحسب بمقدار ما المطروح اعادة تشكيل المنطقة.